

## الإشكاليات والمقاربات المنهجية في تاريخ دارفور المعاصر

د. صلاح محمد إجابة - كلية الآداب/ جامعة سرت

تقديم ...

لا يختلف المؤرخون في أن تاريخ دارفور يكتنفه الغموض والضبابية بشكل شبه تام، خاصة القديم والوسيط منه، وأن النزر القليل الذي كُتب عنه كانت الرواية الشفوية مصدره الأساسي، وأن تلك الكتابات كثيراً ما جانبت الصواب وأطرت الحدث بغير جوهره الحقيقي، لاعتمادها على التقريب التخميني في عديد المسائل، وقد عبّر أوفاهي **O'Fahey. R** عن ذلك بقوله: >>... أن دارفور بالنسبة للرحالة والمؤرخين كالطريق المسدود الذي لا يؤدي إلى شيء (cul-de sac)...<<<sup>(i)</sup>.

كما أن الفضاء الاقليمي يشهد اليوم تطورات مهمة وتحولات ديناميكية غاية في التعقيد، تُجيز إعادة بناء معرفة تاريخية وفق الوعي التاريخي الحديث الذي يقوم على إلغاء التأويل الألا منطقي والابتعاد عن الجاهزية ويسمح بممارسة المعرفة التاريخية وفق مبدأ النسبية، ف >>... التاريخ منظور دائماً لإعادة الكتابة فهو في حالة صُنع دائم لنفسه وفي حالة تجاوز مستمرة تحت إجماع ضغط أسئلة يلقيها الحاضر على الماضي...<<<sup>(ii)</sup>، لذا نروم من خلال هذا البحث - الإشكاليات والمقاربات المنهجية في تاريخ

**دارفور المعاصر** - تصحيح بعض الإسقاطات؛ كما عبر عن ذلك فريدريك أنجلز **Engels. F** بقوله: >>... أن تاريخ العلم هو تاريخ الانتقال من خطأ فادح إلى خطأ أقل فداحة...<<<sup>(iii)</sup>، والخروج باستنتاجات تكون أكثر دقة وموضوعية هذا فضلاً على أنها تشكل قاعدة لكتابة تاريخ شمولي محدد الأطر لتفتح آفاقاً لمقارنات بناءة بين الكتابات ذات الصفة العمومية والكتابات الأكاديمية. وتهدف أيضاً إلى وضع إطار علمي للإشكاليات البحثية الحديثة والمعاصرة للتاريخ المحلي للفرور، وتكمن أهمية هذه لورقة العلمية في كونها تعالج قضية محورية ليست في تاريخ دارفور فحسب بل معظم الدراسات المعاصرة وهي كيفية ضبط إشكاليات البحث في التاريخ الحديث والمعاصر.

## تأطير تاريخ دارفور المعاصر.

لا شك إن الحدث الأبرز في تاريخ دارفور المعاصر ذلك الذي ابتداءً بالعام 1874، حيث دخلت دارفور تحت الاحتلال الأجنبي لأول مرة في تاريخها، ولا يوجد خلاف ذلك - على الأقل - منذ رصد أولى ملامح تاريخها الحديث على يد الرحالة مع مطلع القرن التاسع عشر، وكانت قبل ذلك العام سلطنة شبه إسلامية مستقلة عُرفت بسلطنة الفور الأولى، تمكنت لعدة قرون من صد أي تدخل أجنبي لأرض الفور، على الرغم من أن والي مصر محمد علي باشا تمكن من ضم السودان منذ العام 1821<sup>(iv)</sup>، وما انفكت الأسرة العلوية في مصر تسعى جاهداً لاحتواء الإقليم، حتى تمكن الخديوي إسماعيل باشا من ذلك سنة 1874، وكانت قد عُرفت تلك الفترة في السودان ودارفور بفترة الحكم التركي المصري<sup>(v)</sup>، إلا أن ذلك الحكم لم يدم طويلاً في دارفور، نظراً لعدد المتغيرات الداخلية والخارجية، ففي وسط السودان اندلعت ثورة ذات طابع ديني عُرفت بالمهدية نسبة لتمهدي زعيمها سنة 1881، سعت للإطاحة بالحكم الخديوي وفي العام التالي احتلت إنجلترا مصر لتخرج دارفور عن السيطرة التركية المصرية وتدخل في أتون حرب أهلية ضد المهدية التي وصلت إلى دارفور سنة 1883<sup>(vi)</sup>، وظلت كذلك في اضطراب مستمر حتى سيّرت الحكومة الإنجليزية برفقة الجيوش المصرية حملة على السودان بُغية استعادته، فتمكنت من القضاء على المهدية عسكرياً سنة 1898<sup>(vii)</sup>، وفي تلك الأثناء تمكن علي دينار سليل سلاطين دارفور والذي كان سجيناً لدى المهدية من العودة إلى دياره، وهناك عمل على إحياء سلطنة آباءه لتعود دارفور مستقلة كما كانت وعرفت هذه الحقبة بسلطنة الفور الثانية، وخلال الحرب العالمية الأولى انتهزت إنجلترا الفرصة للقضاء على السلطان دينار بسبب وقوفه إلى جانب تركيا، فشنت حملة عسكرية سنة 1916<sup>(viii)</sup> تمكنت بها من إعادة دارفور إلى الحضيرة الاستعمارية لبيدأ فصل آخر من تاريخ دارفور عند ضمها رسمياً إلى ما عرف بالحكومة الثنائية (الأنجلو - المصرية Anglo - Egyptian) لتظل على ذلك الحال حتى استقلال السودان سنة 1956<sup>(ix)</sup>، وقد أدارتها خلال هذه الفترة بحكم محلي عُرف بفترة الإدارة الأهلية.

تلك الأحداث تشكل الإطار العام لتاريخ دارفور المعاصر. ومن خلال تتبع ورصد حركة التاريخ الفوارى يمكن الخروج برواية متماسكة ومختصرة للأحداث التي مرّت على دارفور خلال فترة تاريخية مهمة، كانت فيها دارفور سلطنة مستقلة ثم تعرضت للاحتلال الأجنبي ثم عادت إلى الاستقلال إلا أنّها

لم تصمد أمام المدّ الاستعماري، فخضعت للاستعمار المباشر طيلة أربعة عقود؛ تلك باختصار حدود البحث المستهدف لدراسة الاشكاليات.

### إشكاليات البحث العلمي.

إشكالية البحث العلمي هي نص لمجموعة علاقات قائمة بين احداث وفاعلين ومكونات مشكلة معينة، قد تطرح على هيئة سؤال ليس له إجابة واضحة أو كاملة، وللإجابة عليه تحتاج إلى تقصي وبحث عميق للوصول إلى نصوص واضحة تزيل الغموض عن ذلك التساؤل<sup>(x)</sup>؛ وتعد اختيار اشكالية البحث من أهم مكونات البحث العلمي الرصين وهي أكثر ما يورق الباحث عند اختياره موضوع معين فتظل مسألة كيفية صياغة اشكاليات البحث رغم وجود مشكلة معينة للبحث، بالإضافة إلى تساؤل حول بنية الاشكاليات، هل هي سابقة للعمل البحثي أم متولدة عنه؟ وفي الحقيقة ليس من السهل البدء في أي دراسة علمية بدون هواجس سابقة وافكار محيرة تسكن الباحث، فاختيار موضوعات البحث ليست عفوية بل هي ناجمة عن اهتمامات وميول فكرية، إلا أن تلك الإشكاليات السابقة أو المبدئية أو التصورات الأولى للباحث، تتعرض للتغيرات مع تقدم مراحل البحث، في النتيجة يتضح أن الإشكاليات تكون سابقة غير أنها ليست نهائية مع احتمالية تغييرها<sup>(xi)</sup>.

### إشكاليات البحث في تاريخ دارفور المعاصر.

ثمة تعقيد منهجي يواجه الباحث في تاريخ دارفور المعاصر وخاصة المحلي منه، إذ أن من الصعب تحقيقه وتحديد أطره، لتعدد وتداخل مكوناته خاصة الإستمولوجية، وهناك إشكاليات معرفية تتعلق بالمتغيرات السياسية وهيكل أنظمة الحكم المحلي، وعلى سبيل الحدث فإن السردية منه مليء بالأحداث الجسام التي لازالت تحتاج إلى تفكيك وإعادة بناء، كل تلك المكونات الداخلية للحدث التاريخي تُظهر إشكاليات جديدة، فليس من اليسير تحديد إشكاليات ثابتة إذ دائماً ما تظهر إشكاليات جديدة بظهور معطيات بحثية جديدة. وفي هذا البحث اخترنا اشكالية ضبط اشكاليات البحث، وخرنا لذلك موضوع تاريخ دارفور المعاصر للاختصاص، ووضع أهم الاشكاليات التي يمكن لأي باحث في التاريخ الفوارى اعتمادها كإشكالية للبحث ومن تم معالجتها من خلال بحث في المتون بصورة مستقلة.

## الإشكال الأول.

من أهم الإشكاليات التي تواجه الباحث في تاريخ دارفور المعاصر هي فهم الثابت والمتحول<sup>(xii)</sup> في تفاعل المجتمع الفوارى ذى التقاليد القبلية المتأصلة في الممارسات الحياتية اليومية مع الظاهرة الاستعمارية، ورصد ديناميكية ما هو هيكلي متعلق ببنية المجتمع الفوارى وما هو ظرفي خاص بالفترة التاريخية، لذلك لا بد من حصر فترة الدراسة الخاصة برصد الثابت والمتحول بين تاريخي 1874 و1956 وهي الفترة التي تعرضت فيها دارفور إلى الاحتلال الأجنبي. ولتعدد الأطراف الفاعلة في الموضوع فإن الأشكال يبحث في طبيعة العلاقة بين الحكومات الأجنبية التي تناوبت على الحكم في دارفور والمجموعات القبلية المقاومة لكل أشكال الهيمنة الخارجية وفق قاعدة معتقدية مقدسة تميل إلى النزعة الاستقلالية والرفض القاطع لأي نمط من أنماط الحكم المركزي.

## الإشكال الثاني.

يهتم هذا الأشكال بالبحث في أنماط التماثل<sup>(xiii)</sup> والشبكة العلائقية التي تربط المجموعات القبلية مختلفة الأجناس والأديان وهي المكوّن الأساس في الفضاء الفوارى ونقاط التقائها في علاقتها مع سلطة المحتل المركزية سواء كانت تُدار من خارج دارفور كالخرطوم مثلاً خلال الحكم التركي المصري أو من أم درمان عاصمة المهديّة أو الفاشر عاصمة الإقليم عقب الاحتلال الإنجليزي، ونظراً لخصوصية هذا الإشكال فقد تفرعت تساؤلات أخرى مفسّرة ومكمّلة له منها طبيعة الآليات والأدوات التي وظّفها المحتل لفرض سيادته في الفضاء القبلي، وما طبيعة الدور الذي لعبه الزعماء القبليون في إرساء أو محاربة سطوة الحكم الأجنبي؟

## إشكال الثالث (القبيلة والدولة)

جل الدراسات التاريخية لها جانب انثروبولوجي أو اثنوغرافي، والمجتمع الفوارى مجتمع قبلي بامتياز خاصة خلال حقبة المد الاستعماري، ولعل أكثر الأسئلة تداولاً ذلك السؤال الإنكاري الذي طرحه جاك بيرك **Jacques Berque** والذي لا زال بدون اجابة مرضية، والأصح أنه فتح اتجاهات وإشكاليات بحث جديدة. والسؤال هو ما هي القبيلة الشمال افريقية؟ وبالإمكان إعادة طرح السؤال برؤى أخرى منها هل القبيلة قضية فكرية؟ في الفضاء الفوارى نجد أن المجموعات القبلية لازالت تحتاج إلى حفريات معرفية جديدة خاصة في علاقتها مع السلطة المركزية "الدولة"<sup>(xiv)</sup>.

يرى موريس غودوليبي أن مصطلح القبيلة يكتنفه غموض شديد من الناحية الإجرائية والتطبيقية فمفهومه في حد ذاته يخضع لمتغيرات ظرفية وفق عاملي الزمان والمكان<sup>(xv)</sup>، والقبيلة في دارفور لازالت حية لم تتفكك من قبل السلط السياسية ولازالت فاعلة، وتمتلك مستوى عالي من النظام والانسجام والتوازن الداخلي، ومن التساؤلات على سبيل المثال؛ هل هي دولة داخل دولة؟ هل هي بنية اجتماعية منغلقة على نفسها؟ هل هي كيان قائم بذاته خارج سيطرة الدولة أو كما أطلق عليها إيفانز بريتشارد **Evans-Pritchard** في كتابه النظم السياسية الإفريقية عند حديثه عن النوير في جنوب السودان مصطلح **Acephalous**<sup>(xvi)</sup>، تلك النظريات القبيلة تستوجب البحث والتحلي والدراسة المعمقة، وتعد إشكاليات حقيقية لدراسة تاريخ دارفور المعاصر.

#### إشكال رابع (المتون المرجعية).

أن حظ دارفور من الدراسات التاريخية لا يزال محدوداً ولم يرق بعد إلى حجم المادة المصدرية المتوفرة لكتابة تاريخها. فقد تم التعرض لنواح من تاريخها خاصة الدراسات الأنثروبولوجية، وكانت أولى تلك الكتابات على يد الرحالة الإنجليزي **وليم جورج براون**<sup>(xvii)</sup> **Browne. W.G** الذي أطر تلك المشاهدات في كتاب بعنوان " **Travels in Africa Egypt and Syria from the year 1792 to 1799**" وكان قد أشار بوضوح إلى أنه لم يعثر على أي تاريخ مدون لدارفور، كانت معلوماته قليلة وشحيحة وغير دقيقة باستثناء ملاحظاته الخاصة بأحوال المنطقة الجغرافية والاقتصادية وقت زيارته لها.

وبعد سبع سنوات من زيارة براون إلى دارفور وصلها الرحالة التونسي **محمد بن عمر بن سليمان** المعروف بالتونسي<sup>(xviii)</sup>، ومكث بها ثمان سنوات تمكن خلالها من تجميع مادة علمية غزيرة عن طريق المشاهدة والرواية الشفوية تبلورت في كتابه المشهور بـ "تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان" ويعد هذا الكتاب من أغنى الكتب عن سكان دارفور وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن كتاباته ظلت محصورة في حقل زمني لا يتجاوز العام 1811، وبعد أكثر من ستين عام وصلها الرحالة الألماني **غوستاف ناختيجال**<sup>(xix)</sup> **Nachtigal, G** ومكث بها ستة أشهر فقط إلا أنه تمكن من جمع مادة غزيرة من خلال الروايات الشفاهية وبعض الوثائق التي أطلع عليها الديوان السلطاني، أخرجها في كتاب بعنوان " **Sahara and Sudan, Waddai and Darfur**" وكان معظم ما دونه عن السلطنة يخص تاريخها الوسيط.

كما توافد على دارفور عديد الموظفين الإداريين البريطانيين خلال حقبة الاستعمار البريطاني لمصر والسودان (1882-1956) كان لهم دور كبير في المجال العلمي والمعرفي رغم أن الهدف الأساسي من تلك الدراسات هو كيفية السيطرة على السودان وحكمه أطول فترة ممكنة واستغلال مقدراته بأقل التكاليف، فقد شملت تلك الدراسات المجموعات القبلية في دارفور ودوافع وجودها وعلاقاتها وتاريخ السلطنة والأسر الحاكمة وقد أنشأت لذلك الغرض دورية علمية تصدر من الخرطوم باسم "السودان في رسائل ومدونات باللغة الإنجليزية Sudan Notes & Records (S.N.R)" تحوي جميع الدراسات التي كان يكتبها الإداريون البريطانيون المنتشرين في جميع مناطق السودان وقد حظيت دارفور باهتمام كبير في تلك الدورية خاصة عقب ضمها إلى السودان سنة 1916، وجميع تلك الإصدارات محفوظة في دار الوثائق القومية بالخرطوم، وتعد تلك الدراسات المرجع الأصيل وبالكداد يكون الوحيد للباحث عن تاريخ دارفور وعلاقتها بالاستعمار الإنجليزي ومنها دراسات آر كل **Arkell. A. J** العديدة كـ **Darfur Antiquities II. The Tora Palaces in Turra** ومنها أيضاً **The History of The Coinage of Ali Dinar, Sultan of Darfur** وكذلك **Darfur** وكتابات **مكمايكل (xx) MacMichael. H. A** العديدة أهمها **Who's Who** وكذلك كتابات ونجت **F. R Wingate. (xxi)** وغيرهم.

هنا لا يمكننا تجاوز الحديث عن الكتاب الأوروبيين خلال حقبة المد الاستعماري ففي غالبهم ينسبون إلى المدرسة الكولونيالية المبنية على نظرية المركز والأطراف، فالغالب على تلك الكتابات رغم هيكلها العلمي عنصرية المضمون، وفي حقيقتها ما هي إلا امتداد لحقبة الاستشراق التي وصف رؤاها حركة التاريخ الشرقي بالركود وأن حركة الاستعمار الأوروبي كانت ضرورة تاريخية لإخراجها من تلك الحالة.

وقد تسنى لنا الاطلاع عليها مع عديد الوثائق المودعة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، خاصة تلك المتعلقة بفترة المهدي<sup>(xxii)</sup>، وتلك المتعلقة بفترة حكم السلطان **علي دينار**، والتي لا تخلو بدورها من الصعوبات فمعظمها كتب بلهجات محلية مما يضيف على الباحث عبء البحث عن تلك المفردات ومعانيها؛ كما كان لبعض الضباط المصريين المصاحبين للتواجد الإنجليزي بعض الكتابات، أهمها للمؤرخ **نعوم شقير (xxiii)** صاحب كتاب "تاريخ السودان"، و**حسن قنديل (xxiv)** مؤلف كتاب "فتح دارفور سنة 1916، ونبذة عن تاريخ سلطاتها علي دينار"، وهذه الكتابات رغم معاصرة مؤلفيها

للحدث وبعضها كتب في الوقت نفسه إلا أنها لا تخلو من النقد فتواجه الباحث مشكلة التعامل مع وصف الحدث حيث لاحظنا أثناء اطلاعنا على عديد المراجع سواءً كانت لمؤلفين سودانيين أو مصريين اختلافاً كبيراً في الوصف، حيث يصر الفريق الأول على وصف التواجد التركي والمصري في السودان بالاحتلال والغزو، في حين نجد المصريين يطلقون عليه ضم السودان أو فتح السودان وكذا الحال على دارفور، وللخروج من هذا الأمر على سبيل المثال يمكن استبدال تلك المصطلحات بأخرى كالتواجد المصري التركي أو الحكم التركي المصري، وهنا نعني المصري أكثر بحكم تواجده خلال حقبتين الأولى من 1874 إلى 1883 مع الأتراك العثمانيين والثانية عقب توقيع اتفاقية الحكم الثنائي للسودان بين مصر وإنجلترا والتي امتدت من سنة 1899 إلى استقلال السودان 1956.

على الرغم مما تقدم يمكن بلورة إشكال حول مسألة تحليل وتوظيف المتون التي يستند متن هذا البحث أساساً على مادتها ففي معظمها - خاصة كتب الرحالة - وكتاب **نعوم شقير** وكتاب **حسن قنديل** مستقاه من الرواية الشفاهية، واعتمادهما على التقريب التخميني، وذلك يجعلها دائماً في محل تساؤل حول دقتها وحقيقتها ومعرضة للتبديل حين تتوافر معلومات من مصادر أكثر دقة. الإشكالية هنا تطرح تساؤلات حول آليات توظيف تلك المعلومات والاستشهاد بها خاصة في حالة وجود معلومات من ذات المصادر أي الرواية الشفاهية وتعاكس بعضها أو تختلف في مضامينها.

### المقاربات المنهجية.

إن المقاربة المنهجية في دراسة تاريخ الفجر المعاصر تقوم أساساً على النظر في علاقة الأطراف وطبيعة الفاعلين المتعددين والمتغيرين في الفضاء السياسي للموضوع (القبيلة والدولة، المحلي والمركزي، المعتقد القبلي ونظام المهديّة الديني، عنصر المحتل محلياً كان أو خارجياً عربياً أو أجنبياً وهو بطبيعته طرف متغير غير ثابت، في المقابل يعد عنصر القبيلة ثابتاً). وهي علاقة تفاعلية *l'interactionnisme* (xxv). لا شك في أن مثل هذه المواضيع على درجة من الدقة والحساسية لا يمكن إلا أن تكون مقاربتها وتحليلاتها على درجة من الصعوبة والتعقيد، فيتداخل فيها ما هو تاريخي عميق بما هو معاصر متعدد الأطراف المكونة له وتتوغل فيه الاختلافات والخصوصيات. إلا أنه بالإمكان محور المقاربة المنهجية من خلال تسليط الضوء على التأثير المتبادل بين الأطراف الفاعلة في الموضوع وعلاقات التبعية المتبادلة *La relation d'interdependance* (xxvi)، ورصد التبعية بينها في فضاء الحدث الداخلي،

باستخدام حلقات وصل لربط العناصر والأجزاء وهو ما يعرف بعملية التمثيل للخروج بنظام متكامل الأنساق.

من المفيد التذكير في هذا الإطار أن تاريخ دارفور عرف اهتماماً كبيراً وحظوة لافتة في العقد الأول من هذا القرن خاصة عقب ظهور عديد الحركات المسلحة ذات النزعة الاستقلالية، ولعل ما شهدته دارفور خلال العام 2003 من حرب طاحنة ضد حكومة الخرطوم خير شاهد على ذلك، يهدف ذلك الاهتمام محلياً وإقليمياً إلى رصد الخصوصيات الحضارية وفهم المنطق الداخلي لتاريخ المجتمعات وقد ازدادت الحاجة إلى فهم تاريخ المجتمع الفوارى وأصبحت مطلباً ضرورياً في ظل منظومة عالمية تسعى إلى توحيد المفاهيم وتنميط السلوكيات لضرب الهويات المحلية وطمس السمات الحضارية للشعوب.

### الخصيلة والحدود.

في الحقيقة لم تكن غاية هذا البحث دراسة تاريخ دارفور بل أردنا أن تكون الدراسة طرفية في فضاء البحث، ونموذجاً للتعرف على أهم الإشكاليات والمقاربات المنهجية التي تُبنى عليها دراسة التاريخ المحلي لدارفور، وقد وضعنا خواتيم للإشكاليات كانت على النحو التالي.

- نعتقد أن أهم ما توصلنا إليه فيما يخص الثابت والمتحول خاصة للمجموعات القبلية بدارفور ظل على امتداد ثمان عقود 1874-1956 في حالة تغير بنسق بطيء، فماضيهما الاستقلالي وخصوصية كل قبيلة والتي تعد المساس بها بمثابة تهديد لكيونتهما، شكّل عامل شد إلى الورا والظرفية التي عاشتها خلال التواجد الأجنبي وما صاحبها من تغيرات كانت ظرفية تسقط من فضاء الممارسات بخروج المستعمر، أما المتحول فهو كامن في النظرة المستقبلية ومواكبة العصرنة، تلك النظرة فرضت القبول ببعض المتغيرات، إلا أن العمل بما على الصعيد المحلي كان على درجة من البطء بحيث لا يكاد يُرى.

- أما فيما يتعلق بأنماط التمثيل والشبكة العلائقية التي تربط المجموعات القبلية فيمكن اختزالها في العنوان (الزعماء القبليون ورجال الدين والوساطات. بين موضوعية الرأي والخيالية الفعل). لطالما التجأت الحكومات المركزية للسيطرة الجغرافية عن طريق توظيف عنصر الزعامة القبلية للسيطرة الفكرية على عنصر القيادة الدينية، وعلى الرغم من قدمته تلك الحكومات من مزايا وامتيازات لأولئك الفاعلين على المستوى المحلي إلا أن مسألة اختراق القاعدة الاجتماعية التي تقوم عليها تلك المجموعات ظلت غاية صعبة المنال، فكانت علاقة أولئك الزعماء مع الحكومة تقوم على

مسارين، مسار للتعامل مع الطرف الأجنبي الدخيل يقوم على الخضوع للسلطة والقبول بما قولاً، ومسار للتعامل مع الطرف المحلي يقوم على أساس الواجب والدور المناط بمؤلاء القياديين والتزاماتهم القبلية اتجاه مجموعاتهم وهو التزام يقوم أساساً على الرفض وعدم التبعية، إلا أن تلك الوساطات كان لها من الايجابية في بعض الأحيان ما يصب في صالح المحلي.

- في إشكال العلاقة بين القبيلة والدولة. اصطدام حكومات الأجنبي المركزية بواقع المحلية، الذي تجاوز من حيث قوته ومتانة تركيبه، قوة السلطنة نفسها، فتعلّق المجموعات القبلية بالخير الترابي وتقوقع أفرادها على مضامين القبيلة ومقدساتها جعل من العسير على الحكومات الاستعمارية فرض السيطرة المكانية عليها، علاقة الرفض تلك، ظلت السمة الغالبة اتجاه كل ما هو خارجي، وأن العلاقة السياسية والإدارية بين المجموعات القبلية والسلطة الحاكمة تطبّعت بطابع الرفض والتمرد والثورات وأن سلطة الحاكم غالباً ما كانت لا تتجاوز مقره، بينما الدواخل ظلت خارج سيطرته بصفة مطلقة، وعند الحديث عن جدلية العلاقة بين القبيلة والسلطة نجد أن أسبابها لا تنحصر في اختلاف الانتماء السياسي فحسب، إذ أن للتكوين المجتمعي المعقد للمجموعات القبلية فرض قوانين صارمة تحولت عبر الزمن إلى جزء من هويته الوجودية وبات الفرد لا يشعر بالانتماء والإحساس بالأمن والطمأنينة إلا في عدم الخروج عن قاعدته القبلية والتي بالضرورة أصبحت لكل منها قواعدها ومعاييرها التي يصعب الحياد عنها.

- إشكاليات التعامل مع المتنون. في الأغلب يتم الاعتماد على بعض المراجع بشكل قد يلفت الانتباه، فلا بد من تبرير مقنع لذلك كندرة المصادر والدراسات خاصة حول المجموعات الاثنية، على أن يتعد الباحث عن الإعادة والتماهي معها، وأن يعمل على توظيف المعلومات التوظيف المناسب، وألا يغفل تنوع المصادر كالدراسات الجهوية والمونوغرافيات، والدراسات العامة والبحوث الاجنبية. وللدراسات التاريخية مجال آخر لا غنى عن البحث المصاحب له كالدراسات الانثروبو تاريخية والاثنوغرافية فلعلماء الاجتماع الغرب خاصة في الفترة الحديثة والمعاصرة اهتمامات واسعة بالهويات المحلية، فمن خلال شمولية البحث التاريخي يمكن الخروج بدراسة مكتملة الأنساق.

- (i) .O'Fahey. R. S, State and Society in Darfur, Village publications Ltd, London, 1980, p.14
- (ii) .Jameson. F. Archaeologies of the future "The Desire Called Utopia and Other Science Fictions. Verso publications. London. 2005. Pp. 87, 89.
- (iii) Engels. F. Socialism Utopian and Scientific. Published by Resistance Books. Australia. 1999. Pp. 80-81
- (iv). الرافي. عبد الرحمن، عصر محمد علي، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1989، ص166.
- (v). الرافي. عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976، ص82.
- (vi). Slatin. R.E, fire and sword in Sudan 1879-1895, translated by Wingate. F.R, London, 1896, p.271
- (vii).Holt. P.M, The mahdist State in Sudan 1881-1898, Oxford University Press, London, 1958, pp.221
- (viii). قنديل. حسن، فتح دارفور سنة 1916، ونبذة عن تاريخ سلطاتها علي دينار، طبع بمطبعة العدل بالإسكندرية سنة 1937، ص13.
- (ix). للاستزادة حول هذا الموضوع أنظر، عبد الله، علي حسن، الحكم والإدارة في السودان، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986.
- (x). Guidere, M. Méthodologie de la recherche, guide du jeune chercheur en lettres, langues, sciences humaines et sociales, Ellipses, Paris, 2004, p16.
- (xi) .Ibid, pp19-21 .
- (xii). للاستزادة حول مفهوم الثابت والمتحول أنظر، أدونيس، الثابت والمتحول بحث في الابداع والاتباع عند العرب، ج1، دار الساقى، ط7، بيروت، لبنان، 1994، ص ص 13-14.
- (xiii). L'articulation يعني هذا المصطلح طرق التقاء الأجزاء فيما بينها.
- (xiv) .Berque, J, Qu'est ce qu'une tribu Nord-Africaine? in L'éventail de l'histoire vivante. Hommage à Lucien Febvre, Paris, colin, 1953, p265.

(xvi). Pritchard, E. African Political Systems, The Nuer of southern Sudan, International African institute, Oxford university press, 1947, pp272-282.

(xvii). وليم جورج براون (1768-1813) رحالة انجليزي زار مصر ودارفور والسودان وأسيا الصغرى بين الأعوام 1792 و1798 ووصف رحلاته في كتابه سياحة في إفريقيا ومصر وسوريا من العام 1792 إلى 1799، كما زار تركيا والشرق بين عامي 1800 و1802 وقتل وهو في طريقه إلى طهران. زار دارفور في عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد فوصلها عن طريق أسبوط قادماً من مصر في يوليو 1793 ومكث بها حتى مارس 1796 إلا أن حريته في التجول قُيدت بسبب ارتياب سلاطين الفور باعتباره أوروبياً مسيحياً. للمزيد من المعلومات حول براون ورحلته أنظر. Browne. W.G. travels in Africa Egypt and Syria from the year 1792 to 1799, Longman Hurst press, London, 1906.

(xviii). محمد بن عمر بن سليمان التونسي (1789-1857) تونسي الأب والجد مصري الأم والنشأة، كان هدفه الأساسي من الرحلة إلى دارفور البحث عن أبيه عمر وجده سليمان التونسي اللذان تصاهرا من أهل دارفور فأصبح له أخوة وأعمام وأملاك، سافر من مصر عبر طريق أسبوط قاصداً دارفور صحبة تاجر فواري صديق لأبيه يدعى أحمد البدوي، فوصلها في سنة 1803 وعند وصوله أستقبله عمه غير الشقيق أحمد زروق الذي صحبه إلى والده الذي كان يقيم في إقطاع أسمه أبو الجدول كان السلطان عبد الرحمن الرشيد قد منحه له، أستقر محمد بن عمر التونسي في دارفور زهاء ثمان سنوات أمّ خلالها بأحوال البلاد أماماً تاماً، سافر بعدها إلى سلطنة وداي ومنها إلى تونس ثم عاد إلى القاهرة وهناك عمل بنسخ وترجمة الكتب كما كان مدرساً للغة العربية فتعرف على أحد طلابه الفرنسيين ويدعى بيرون فشجعه على جمع كتاباته ومشاهداته حول بلاد السودان فجمعها في مخطوط بعنوان تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، وأخذها بيرون معه إلى باريس لطباعتها وهناك ترجمها إلى الفرنسية ونشرها سنة 1845، أما النص الأصلي لها فلم يتم العثور عليه حتى يومنا هذا، ونشرت أولى ترجمة عربية لها في القاهرة سنة 1850. أنظر. محمد بن عمر التونسي، تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق، خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965. تصدير الكتاب ص ص5-27.

(xix). غوستاف ناختيجال Gustav Nachtigal (1834-1885) رحالة ألماني أطلق على نفسه أسم إدريس أفندي وعرف كذلك في وداي ودارفور ومصر، أنطلق من طرابلس الغرب في فبراير 1869 إلى الجنوب الليبي ومنه إلى سلطنة وداي ومنها إلى دارفور فوصلها في يناير 1874 على أيام آخر سلاطينها السلطان إبراهيم الحسين، ومكث بها حتى يونيو من نفس العام ورغم قصر مدة إقامته وحرمانه من التجول في دارفور إلا أنه أستطاع جمع مادة علمية قيمة عن طريق الروايات الشفهية وبعض المخطوطات التي عثر عليها في القصر السلطاني خاصة تلك المتعلقة بالسلالة الحاكمة ومعظم مدوناته كانت عن تاريخ السلطنة الوسيط.

(xx). السير هارولد مكميكل Sir Harold MacMichael التحق بخدمة حكومة السودان في عام 1915، حيث أنشأ مركزاً في النهود كنقطة متقدمة، وقد جمع الكثير من المعلومات عن دارفور وقبائلها وزعمائها وعن رجال السلطات وكبار قادتها، نشرت في الملف القبلي The Tribal و ملف من هي دارفور Darfur who's who ثم أصبح مساعداً لمدير دارفور في 1917 - 1918، ثم مساعداً للسكربتير الإداري 1919 - 1925، ثم سكرتيراً تجارياً للفترة من 1926 -

1934، ثم حاكماً عاماً على تنجانيقا 1934-1944، ثم مندوباً دستورياً في مالطا 1946، ثم حاكماً عاماً 1969، ساهم بعدد وافر من البحوث في مجلة السودان في رسائل ومدونات (S.N.R.) وألف عديد الكتب المهمة عن قبائل السودان وجغرافيته وعن فترة الحكم الثنائي لدارفور.

(xxi). فرانسيس ريجنالد ونجت Francis Reginald Wingate 1861-1953 ضابط إنجليزي عمل في الهند سنة 1880 ثم نقل إلى عدن، ومنها عين مساعداً للسكرتير العسكري للجنرال غرانفيل سردار الجيش المصري سنة 1883، أشرت في الحملة على الخرطوم لأنقاد غوردون 1884-1885 وحملة دنقلة 1896 ومعركتي عطبرة وأم درمان، ثم مديراً للمخابرات العسكرية في السودان 1896-1898، ثم سرداراً للجيش المصري وحاكماً عاماً للسودان 1899-1916، ثم المندوب السامي لمصر 1917-1919، ألف كتاباً بعنوان المهديّة والسودان المصري *Mahdism and the Egyptian Sudan* نشر سنة 1891 أنظر، Theobald. A.B, Ali dinar the last sultan of Darfur 1898-1916, western printing serves, London, 1965, p.271. وكذلك، نجد فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، المجلد 3، دار الساقية، بيروت، 1998، ص62.

(xxii). وثائق المهديّة هي عبارة عن الرسائل التي تبادلها المهدي وخليفته مع عمّالهما وكل من كان على علاقة بالمهديّة، وهي تغطي كامل حقبة المهديّة منذ سنة 1881 ولغاية سنة 1898، وتقدر بنحو ثمانين ألف وثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم - السودان، مصنفة إلى ستين دفترًا منها سبعة عشر دفترًا للصادر وقد خصص التاسع والعاشر من تلك الدفاتر لعمالة دارفور.

(xxiii). ولد ببلناب سنة 1863 وانتقل إلى مصر دون العشرين من عمره وعمل كاتباً في حضرة الحكومة الخديوية، ثم عمل بالمخابرات الحربية المصرية كمختص بالتاريخ، وكُلّف بعدد المهام بالسودان وشارك في الحملة الأنجلو مصرية على السودان سنة 1898، ألف كتابه المشهور ب تاريخ السودان سنة 1902 وتوفي في القاهرة سنة 1922.

(xxiv). هو البكباشي حسن أفندي قنديل أحد الضباط المصريين الذين اشتركوا في الحملة الأنجلو مصرية على دارفور سنة 1916 وألف لاحقاً كتاباً بعنوان فتح دارفور سنة 1916، ونبذة عن تاريخ سلطاتها علي دينار، طبع بمطبعة العدل بالإسكندرية سنة 1937.

(xxv)، مصطلح التفاعلية هنا يعني التأثير المتبادل بين الأطراف كفعل وردة فعل. وقد أستخدم هذا المصطلح في كتابات Elias, N, La Société do cour sous Louis XIV, paris, Flammarion, 1985, coll champs

(xxvi). ويدل على وجود تبعية بين طرفين أو بين مجموعة أطراف، كقبيلتين أو مجموعة قبائل وعلاقتها بالمركز أنظر Elias, N, Ibid.